الأدب النسوي بين الرفض والتأييد وبداياته في الوطن العربي.

سوسن ابرادشة

جامعة الجزائر02 . أبو القاسم سعد الله .

salasilobrad@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ماهية مصطلح الأدب النسوي، من خلال عرض مجموعة من المقولات والآراء المتضاربة الداعية لرفض التسمية أو لتأييدها، والغوص في عالم السرد الروائي النسوي، والذي تعرضّ ولا يزال إلى كثير من المساءلة النّقدية بسبب الهوّية المعلنة الّتي يعرضها، والّتي تتمحور في الغالب حول قضايا المرأة وهمومها ومَطالبها الهادفة للمساواة بينها وبين الرجل، ورفضها للتهميش والإقصاء اللّذين سُلّطا عليها. من أجل كل هذا ارتأينا إلى تتبع الإرهاصات الأولى لميلاد الرواية النسوية في الوطن العربي حسب تقسيماته الجغرافية، واستجلاء تمظهرات الخصوصية الأدبية والفنية في المتون الروائية النسوية العربية، وإبراز مواقف الرفض والتأييد لهذا المنطلق، ومن ثمة تعديد مجموعة من الخصائص البارزة في الكتابات الأدبية النسوية.

الكلمات المفتاح: الأدب النسوي، الرائدات، الرفض، التأييد، البدايات.

Abstract :

The aim of this study is to uncover the meaning of the term feminist literature by presenting a series of conflicting statements and opinions calling for the rejection or endorsement of the label, and diving in the world of feminist narratives, which is still exposed to a lot of monetary accountability because of the declared identity that presents it, Mostly on women's issues, concerns and demands aimed at equality between them and men, and their rejection of marginalization and exclusion

For this purpose, we have decided to follow the first signs of the birth of the feminist novel in the Arab world according to its geographical divisions, to explore literary and artistic privacy in the Arab feminist narrative, and to express rejection and support for this approach.

Keywords : Feminist literature, pioneers, rejection, support, beginnings.

1- تمهيد:

نشأت الحركة النسوية في أعقاب بحثِ المرأة عن مكانتها في المجتمع، ومحاولتِها فرض ذاتها وحصولها على استقلالية وحرية تمكنها من ممارسةٍ حياتيةٍ لا تختلفُ كثيرا عن حياة الرجل/ الذكر، وهي التي عانت الكثير من التهميش والظلم وتم اعتبارها كل شيء إلا أن تكون إنسانا موازيًا للرجل.

وبعد أن تثقفت المرأة العربية وتعلَّمت، أرادت حقوقها جميعًا حالها حال الرجلِ؛ حيث كانت الحرب التي شنتها ضد أعدائها طويلة وصعبة، ليبدأ الصوت النسوي بالتبلور وفرض نفسه في كل المجالات التي خاضتها المرأة على اختلاف تنوعاتها وصعوبة وُلُوجها.

وبما أننا نتحدث عن النسوية الأدبية والروائية بالخصوص، فإن المرأة المبدعة/ الروائية أخذت على عاتقها مهمة الحكي النسوي، والذي تميزَّ بقوة الطرح والجرأة وتصوير نضال المرأة في هذه الحياة الظالمة لها، لتُشَكِل كل هذه الكتابات ما سُمِيَ بالأدب النسوي والذي من خلاله بات هناك سرد نسويا وشعر نسويا.

هذا المصطلح الذي أيدَّته مجموعة ورفضته مجموعات من كلا الطرفين/ المرأة والرجل، وعلى الرغم من تداوله تداولاً كبيرًا إلا أنَّه لا يزال مصطلحا مربكًا ومبهمًا ومتناقضًا بعض الشيء، وكثيرا ما يتم الاعتماد عليه في الدراسات النقدية وحتى الأكاديمية رغم عدم تحديد مرجعيته النقدية النظرية.

فالأدب النسوي عند البعض هو الأدب الذي تكتبه المرأة، وهو عند آخرين كل الكتابات التي تحكي عن المرأة وعمَّا يتعلق بها، بآلامها، بآمالها، بطموحاتها وبأحلامها.

ولذلك صُنفَ شعر نزار قباني مثلًا عند هذا الفريق ضمن الأدب النسوي، ولم تُصَنَف ثلاثية الروائية أحلام ضمنه؛ ذلك أنَّ نزار كان أقرب من أحلام مستغانمي في وصف ذات المرأة ومشاعرها من خلال أشعاره التي خصَّت المرأة دون غيرها، في حين تفوقت هي في سردِ مآسي ومشاعر بطلها المعتاد "خالد" وغيره من الشخوص الذكورية في ثلاثيتها الشهيرة.

وبالرغم من وجود تصنيفات أخرى لتحديد مفهوم الأدب النسوي إلا أننا سنكتفي بهذين التصنيفين لأنهما أقرب إلى المنطق، فإما أن يكون الأدب النسوي متعلقًا بالجنوسة-Gender أو نوع الجنس-Sex، فنقول عن كل ما تكتبه المرأة-femme-women أدبا نسويا/ نسائيا.

أو أنه ما تعلقت مواضيعه ومضامينه بما يخص المرأة فقط دون غيرها من بقية الصنوف كأدب الطفل، أدب المهجر، أدب السود، الأدب العربي، الأدب الفرانكفوني، وغير ذلك الكثير...

وبما أنَّ المصطلح حديث الابتكار فإنَّه لا يزال يتأرجح بين الرفض والقبول ولذلك أردنا أن نفصل في الحديث ونُبين بعمق آراء الموقفين كل على حدا.

2- الموقف الرافض للمصطلح:

عند الحديث عن الرافضين لمصطلح "الأدب النسوي"، نواجه مجموعة كبيرة رافضة للتصنيف من الأساس، انطلاقا من عدم تميز أدب المرأة أو وجود خصوصية فيه، فالأدب مهما كان كاتبه يبقى أدبًا يعتمد على اللغة والأحداث ومجموع العناصر الفنية التي تشكل جنسه الأدبي.

وهو ما تصرح به كوليت الخوري إذ تقول: "برأيي الشخصي هناك أدب ولا أدب، ولا يوجد بالتالي أدب نسائي أو رجالي.. كل هذه التصنيفات كالقول بوجود أدب زنوج وأدب أطفال وأدب برجوازيين وأدب كادحين وأدب عربي وغيره...، ليس لها مبرر بالرغم من أنَّ هذه التصنيفات لا تجد اعتراضا كما هو الحال بالنسبة للأدب النسوي "[1]

وترفض لطيفة الزيات أن تكون **كاتبة نسوية** انطلاقًا من رفضها للمصطلح والتصنيف، وهي تفضل أن تكون **كاتبة** دون إضافات للفظ، وذلك لخوفها من أن تصنف ككاتبة من الدرجة الثانية لأنها ترى "أنَّ هذا المصطلح يدل في العربية وفي الآداب الأخرى، على نقص في الإبداع وانتقاص من الاهتمامات النسائية المحدودة"[2]

كما ترفض غادة السمان هذا التصنيف الأدبي وتتساءل: "لماذا تم اعتبار كل ما هو نسائي غير إنساني؟ لماذا هناك هواجس نسائية، أما الهواجس الرجالية فتقلب إنسانية رحبة؟ [3] وتنضم إليها الناقدة خالدة سعيد حيث تصرح أنَّ هذا المصطلح "شديد العمومية وشديد الغموض، وهو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق، وإذا كانت عملية التسمية ترمي أساسا إلى التعريف والتصنيف وربما إلى التقويم، فإن هذه التسمية تتضمن حكما بالهامشية مقابل مركزية مفترضة "[4]، فالناقدة ترفض المصطلح رفضا مطلقا لأنه ـ حسبها ـ سيحصر الأدب في الفئوية. بينما تفترض هدى وصفي أنَّ القهر الذي عاشته المرأة "أنشأ أدبا يسمى بالأدب النسوي، وأراد الرجل أن يجعل المرأة تقف عند بابه فسمى كل إبداع المرأة بهذه التسمية، وبالتالي نظر إلى ما تكتبه المرأة باعتباره أدبا دونيا "[5]

وفي الشأن ذاته تؤكد رفقة محمد دودين، أنَّ المشكلة النقدية في تقبل مصطلح الأدب النسوي ليست في "تنوع المواضيع أو المفاهيم لدى الجنسين، بقدر ما هي إشكالية المعايير المزدوجة التي تقيم بها تجارب جنس أو عرق ما على أنها أكثر شمولية وعمقا وأهمية عن تجارب الآخر"[6]

كما تشير نفس الناقدة إلى أنَّ "كون المبدعة امرأة لا يضمن أنَّها ستستخدم منهجا نسويا يحارب ازدواجية المعايير والتميز الجنسوي"[7]، وهو ما تقر به العديد من الكاتبات فتقول إملي نصر عن هذه النقطة، "أنا لست كاتبة نسوية، بالمعنى المفهوم للكلمة بل أنا أكتب كإنسانة بعيدا عن الانتماء الجنسي"[8] وتجيب باسمة يونس حين تسأل: "من أين تبدئين السرد؟

فتقول: أبدأ السرد من قضايا إنسانية، من عمق المجتمع وأحيانا من أسفل قاعه... ولا أتوقف عند جنس أو موقف أو أأطر ضمن حدود، لكنني لا أميل أبدا اتجاه مساندة المرأة"[9]

وتذهب الناقدة سمية درويش إلى حد اعتبار مصطلح الأدب النسوي "أقرب ما يكون إلى الكلام الدارج أو الخطأ الشائع"[10]

وتتخذ الباحثة سارة جمبل موقف الرفض ذاته حيث تقول: "إنَّ المصطلحات (نسائي، نسوي، أنثوي) هي مصطلحات معبَّأة أيديولوجيا وتحيل إلى معاني من مثل الهامشية وما كان من معانيها، وهي باختصار إحالة إلى الهوية فقط"[11]

في حين ترفض الناقدة يمنى العيد هذا المصطلح باعتبار أنَّ خصوصية الأدب ليست ثابتة، فهي رهينة الظروف التي تعيش فيها ومن خلالها المرأة، والتي فرضت عليها طابعًا حياتيًا خاصًا بها دون غيرها. ويظهر هذا الرفض أيضا عند مجموعة من الأديبات اللواتي صنعن أدبا نسويا متميزا، مثلما هو الحال لدى الكاتبة نادية العويتي، التي تقول: " إنَّ مصطلح أدب نسائي مصطلح سيء للغاية وكلما سمعته أشعر أنني في مزين للسيدات، أو في صالة أفراح أو في حمام سيدي ذرعوت... هذا المصطلح مصيبة، لأنه ساهم في وضع جميع الكاتبات والشاعرات في سلة واحدة بصرف النظر عما بينهن من فوارق تتعلق بالمستوى الثقافي والفني... والكثير من الدراسات اتجهت إلى خض هذه السلة واستخراج النتائج المغلوطة"[12] ، ولعل خوفها نابعٌ من تصنيفها كأديبة نسوية ، وهو ما لا يعطيها حق الكاتبة الإنسانية الذي تسعى إليه جل الكاتبات.

أما القاصة الليبية لطيفة القبائلي فتقول: "أنا لا أوافق على هذا التقسيم الذي يفصل الأدب إلى نوعين، " أدب نسائي وآخر رجالي.."[13]

وتؤيدها في قولها الروائية أحلام مستغانمي وهي التي تقرُّ بأنَّها "لا تؤمن بالأدب النسائي قائلة: عندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الكاتب رجل أم امرأة" [14]

وتجيب خناثة بنونة عن سؤال وجه لها حول وجود الأدب النسوي في بلدها المغرب، فتقول: "أعتقد أن هذا التصنيف رجاليا، من أجل الإبقاء على تلك الحواجز الحريمية الموجودة في عالمنا العربي وترسيخها وتدعيمها حتى في مجال الإبداع... فيما يتعلق بالمغرب هناك بدايات ومواصلة لا بأس بها في الإنتاج الأدبي ولو بشكل قليل في عالم المرأة، مع العلم أنني أرفض مسبقا هذا التصنيف على أساس أن الإنتاج يعطي نفسه ويملك الحكم عليه في ما يقدمه دون اعتبار للقلم سواء كان رجاليا أم نسائيا"[15].

ثم تضيف: "أظن أنه ومع التطورات الحديثة أصبح الإبقاء على هذه التصنيفات نوعا من الظلم للمرأة وإدانة لها "[16]

أما عروسية النالوتي فترى أن كل السمات والنعوت التي نعت بها الأدب النسوي، تدل على الرغبة في إقصائه وتهميشه، فمنذ أن تم اصطلاح هذا المسمى على كتابات المرأة وُصِفَ بأبشع الصفات كالأدب المريض، والأدب المراهق، وأدب الرذيلة، وأدب متعثر وغير ذلك، تقول: "فإن كان لا بد من أن تكون هناك نصوص أدبية نسائية، فهي أدب نسائي أي أدب دون الأدب... ما نكتبه هو أدب إنساني بقطع النظر عن جنسنا"[17]

إنَّ المواقف النقدية السابقة الذكر هي مواقف للمرأة المبدعة ناقدة كانت أم أديبة وهي مواقف رافضة لهذا المصطلح، من منطلق أنَّ الأدب واحد لدى الإنسان مذكرا كان أم مؤنثا مثلما تقول الكاتبة الجزائرية فضيلة الفاروق.

وإذا كنا قد ركزنا في ذكرنا للآراء النقدية لمجموعة من النساء فقط، فهذا لا يعني أبدا أنَّ النقاد والمبدعين من الجنس الآخر مؤيدين لهذا التصنيف، والذي يلغي حسب الناقد محمود طرشونة خصوصية الكتابة الإبداعية من الأساس. فيقول: "إن البحث عن خصوصية مزيفة يحد من حرية الإبداع، وإذا أقررنا بوجود خصوصية في الرواية النسوية فلا بد من الإقرار بوجود خصوصية في الرواية الرجالية أيضا... معنى ذلك أن كل جنس يكتب بمواصفات خاصة لا يتجاوزها فيتحتم في البحث عنها... والواقع أن لا شيء يميز الروايات التي تكتبها النساء شأنها في ذلك شأن الروايات التي يكتبها الرجال، لا من حيث المواضيع ولا من حيث الأشكال، فالمواضيع نفسها نجدها عند هؤلاء وأولئك وكذلك الأشكال"[18]، فالباحث يتجاوز الاختلاف البيولوجي بين الجنسين ويعترف بالقيم الإنسانية التي يشترك فيها كل من الذكر والأنثى، ما يجعلهما يكتبان نفس المواضيع وبنفس الشكل أيضًا. وهي نفس الأسئلة التي يطرحها بسام قطوس والتي يريد من خلالها النفي المطلق لمصطلح الأدب النسوي، وإثبات صعوبة الفصل بين الأدب النسوي والأدب

الذكوري وأنَّ الأدب في مجمله واحد، فيقول: "فهل الأدب النسوي هو ما تكتبه النساء ؟ أم الأدب الذي يكتب عن النساء ؟ وإذا كان كذلك فهل الأدب الذي تكتبه النساء أو يكتب عنهن يتمتع بسمات فارقة تسوغ إفراده بالتسمية ؟ وما هي الفروق النوعية لهذا الأدب المكتوب بقلم الرجل عن المرأة، أو بقلم المرأة عن نفسها ؟ وأين يقع الأدب الذي تكتبه المرأة عن الرجل مثلا ؟ أو الذي تكتبه عن الوطن أو الحرية أو الموت مثلا ؟ "[19]

أما الناقد حسام الدين الخطيب "فيتأرجح موقفه بين القبول المشروط و الرفض الزمني التاريخي، ذلك أن قبول هذا المصطلح قد ينسجم مع سياق معالجة الأشياء الخاصة بالمرأة. وبهذا، فالأمر لا يتعلق بالكاتبة كامرأة منتجة إبداعيا لهذه الأشياء و إنما تصبح المسألة مرتبطة بكل كاتب و مبدع استطاع أن يعالج القضايا الخاصة بالمرأة في إنتاجه الإبداعي (رجل أو امرأة)، وهذا التصور جعل الناقد يرى أنَّ هناك أدباء كثيرين، ولاسيما كتاب القصص الاجتماعية والرومانسية،الذين أولو القضايا الخاصة بالمرأة اهتماما مركزيا "[20].

وبهذا المفهوم فإنَّ "الأدب النسوي/ النسائي لا يعني بالضرورة أن امرأة كتبته بل أن موضوعه نسائي، فطرح المفهوم لا يتم من باب الاهتمام بالمرأة باعتبارها موضوعا، و إنما يتخلل المسألة تأسيس وعي جديد من قبلها حول ذاتها و ذات الآخر و محاولة تصفية اللغة من سلطة الرموز القائمة في الثقافة السائدة"[21]

فآراء بعض النقاد لا تقرُّ بوجود أدب نسوي ، لأنَّه لا توجد ملامح واضحة خاصة بأدب المرأة. وهو ما يدعو إليه الباحث عبد العاطي كيوان من خلال تصريحه حول رأيه بمصطلح الأدب النسوي، فيقول: "ليس ثمة فرق ما ـ من جهة نظرنا ـ من حيث الإبداع بين سرد رجالي وآخر نسائي، إذ هو شكل أدبي واحد بصرف النظر عن نوع مبدعه، لا يعرف التذكير أو التأنيث، إذ هي مسَّميات لم تتبلور بعد، وأظّن أنها لم تتبلور، أو يتضح منهجها، أو تستقل بذاتها وإنما هي مسميات ـ كما العادة ـ تطالعنا بها الثقافات الحديثة من آن إلى آن، وإذا كان من شيمة العلم عدم التحيز والعنصرية فهنا ينقشع الخلط وتتضح الرؤية"[22]، فهو الآخر يرفض مصطلح الأدب النسوي لأنه في نظره لا يملك الخصوصية التي تميزه عمَّا يكتبه الرجل، فالمرأة والرجل سيَّان في السرد والكتابة والإبداع مهما كان نوع هذا الإبداع. كما أنَّه ومن خلال قوله السابق يرفض التصنيف لأنه يعتبره عنصريا يدعو إلى تهميش المرأة بطريقة غير مباشرة، وبما أنه مسمى فإنه لا يعدو أن يكون مصطلحا حاله كحال باقي المصطلحات التي تأتي مع أفكار الغرب والغريبة حقا عن المجتمعات العربية، التي لا تهين المرأة بأي شكل من الأشكال حسب الباحث، إلا أننا حينما اطلعنا

على مؤلفه المعنون بأدب الجسد بين الفن والإسفاف (دراسة في السرد النسائي العربي)، تفاجئنا بهجومه اللاَّمبرر على المرأة بصفة عامة وعلى المرأة الكاتبة بصفة خاصة، حيث ربط هذا الأخير كتابات المرأة بالجسد والشبق، وجعل منهما علاقة تلازمية، فهو من خلال دراسته للسرد النسائي خَلُصَ إلى أنَّ في كل إبداع نسائي إيحاء جنسي أو شبقي، تُحاول أن تُظهره الكاتبة بصور عديدة. فيقول: "الإبداع النسائي لون من الكتابة الخاصة، فربما يكون شيئا من المكاشفة، فتحكي فيه المرأة عن جسدها وشبقها، إذ تخبر ذلك عن الرجل الذي يصف الشيء من خارجه.... بينما تغوص هي في أعماقه"[23]، وهو بتصريحه يوجه اتهاما باطلا للمرأة المبدعة ولا يكتفي عند هذا فقط، بل يذهب بعيدا في كتابه السابق الذكر ويضع فصلا كاملا بعنوان "أدب الجسد ـ البورنوغرافيا pornogheraphy "، هذا المصطلح الذي يُعدُّ عيبًا في حد ذاته؛ فهو يدل على العهر، والسفالة وما شابه.

وإذا كان الأدب النسائي حسبه بورنوغرافيًا، فإنَّ الأدب الذي تكتبه المرأة يعني أدبًا للفراش فقط، يقول: " تصبح الكتابة النسائية ذاتية أكثر من أي شيء آخر، إذ يشير المصطلح صراحة إلى الخصوصية والتفرد والتعبير الموحي إلى دلالات، فالمبدع هنا امرأة تكتب عن نفسها عن لقائها بالآخر، عن شبقها عن حرمانها، عن المضاجعة ولونها، وهي امرأة تتقمص دور العاهرة، أو عاهرة تتقمص دور الكاتبة، فتستنطق الجسد، وتكشف عن مفرداته في لغة خاصة هي لغة حقيقية جاءت كما هي دون رتوش، إنَّه النص البصمة... إنه باختصار أدب الذات الداعرة"[24]

أما الناقـــد حسين البحراوي فيُنكر أدب المرأة ليس لشيء، إلا لأننا لا نستطيع أن ندرســه في مجال النقد لأنه أدبًا سطحيًا لا عمق فيه، فهو يرى أنَّ "الأدب النســوي لا يرقى في خصائصه الفنية إلى إبداع الرجل، الذي ابتكر اللغـــة وفرض سيطرته على التـاريخ فكانت حكرا عليه وحده... أنا لا أنكر أنَّ هنـــاك اضطهادا خاصا بالمرأة، لكن هذه المـــرأة الكاتبة لا يمكن أن تدرس في مجال النقد"[25]

ولعلَّ مثـل هذه الآراء الصادمة في حق الإبداع هو ما جعل العــديد من الكاتبات ترفضن هذا المصطلح، وتعـــارضن بشدة أن توسمن بكاتبات "نسويات/ نسائيات" أو أن تندرج أعمالهن الإبداعية ضمن "الأدب النسوي"، لأن معظمهن اعتبرن أنَّ "مصطلح نسائي أو نسوي هو تعميق لعدم المساواة بين الجنسين، وإلغاء لمشروعية الأعمال الفنية الموحدة وأنَّ ما يمكن ملاحظته من فروق بين كتابة المرأة وكتابة الرجل هي ذاتها التي يمكن ملاحظتها بين كتابة الرجال أنفسهم وبين كتابة النساء بينهن"[26]

3 - الموقف المؤيد للمصطلح:

أمَّا الموقف المؤيد لهذا المصطلح فيظهر أيضا في آراء مجموعة من النقاد والأدباء من كلا الجنسين، حيث يقر الناقد جورج طرابيشي بالاختلاف القائم بين إبداع المرأة وإبداع الرجل، فيقول: "إذا سلمنا بإمكانية وجود رواية نسائية فلا مفر من التسليم أيضا بأنَّ الرواية النسائية ليست هي تلك التي تكتبها امرأة فحسب، بل هي أيضا تلك التي تكتبها بطريقة مغايرة للطريقة التي يكتبها الرجل"[27]، فالناقد يستند على التسمية في حد ذاتها "الأدب النسوي" ليُقر بوجود خصوصية تقف وراء هذا المصطلح.

ويضيف الناقد توفيق بكار على هذا قوله: " يعتبر وجود الرواية النسوية حدثا بالغ الأهمية في حياة الأدب العربي الحديث في كل أوطاننا، لا لأنَّ هذه الرواية تعد إضافة متميزة إلى الإنتاج الرجالي فحسب، بل ولأنها أيضا فيها طرافة من حيث أنها تلقي على واقعنا أضواء جديدة، فكأننا قد أصبحنا مع هذا الإبداع النسائي ننظر إلى أنفسنا ومجتمعاتنا وتاريخنا بعينين اثنين لا بعين واحدة، ونعيها بعقلين وندركها بحسين، بل يقيني أنَّ كاتباتنا الروائيات قد أبدين ويبدين من الجرأة والشجاعة ودقة الشعور، ما قد يفوق أحيانا جسارة الرجال"[28]

وهو ما توافقه عليه كارمن البستاني حين تقول: "ليس لنا والرجل الماضي نفسه، ولا الثقافة نفسها ولا التجربة نفسها، فكيف يكون لنا والحال هذه التفكير نفسه، والأسلوب نفسه؟ ذلك أنَّ المرأة تكتب بشكل متميز عن الرجل، لاسيما بعد أن تطورت العادات والتقاليد بفضل النضالات النسوية، حيث لم يعد ينظر إلى هذه الخصوصية في أسلوب الكتابة على أنها تعبر عن الدونية والمحدودية بل حري التعامل معها كحق من حقوق المرأة في التمايز"[29] ، وهو فعلا ما أثبتته المرأة الكاتبة من خلال بعض الكتابات النسوية التي لم يكتبها قلم رجلٍ قبلها.

وإذا كانت بعض الكاتبات ترفضن المصطلح وتعتبرنه إهانة في حقهن وفي حق إبداعهن، إلا أنَّ نازك الأعرجي تعتبر أنَّ رفضهن نابع من خوفهن من الرجل في حد ذاته، فهي تقول: "ترفض المرأة إذن المصطلح والتسمية، لكي تبقى في النادي الأدبي الذي هو رجولي بالضرورة لكي تتمتع برضا المجتمع الرجولي عن سلوكها المنضبط... وكل امرأة رافضة هي امرأة مهادنة ومستكينة للرجل "[30]

وكما كان هناك رافضات، كان هناك مؤيدات أيَدن الفكرة وتحمسن لها كثيرا واعتبرن أنَّ مصطلح الأدب النسوي بشكل عام هو مفخرة للمرأة ومصدر اعتزاز لها، لا يجب أن يُقَابل بالرفض أبدًا.

ولعل ما أكدته سارا ميلر في كتابها "الخطاب" يدعم الإبداع النسوي ووجوده، وذلك بقولها: "إنَّ العمل النسائي الحديث تحرك من كونه رؤية المرأة كمجموعات مضطهدة، أو كضحايا لسيطرة الرجال إلى محاولة لصياغة الطرق في تحليل القوة كما أظهرت نفسها وقاومت علاقات الحياة اليومية"[31]. وتقول الناقدة حمدة خميس: "إنَّ أدب المرأة واقعا ومصطلحا، ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز المرأة والمجتمع والنقاد، إذ أنه يصحح مفهوم الأدب النسائي الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته، كما إنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويعينه وبتكامل معه، وهو أيضا خطاب نهوض وتنوير"[32]

في حين تعود بعض الناقدات الرافضات للمصطلح لقراءة الموضوع من الناحية الإيجابية وتقبله، وهو ما تصرح به بثينة شعبان بقولها: "إنَّ العمل الروائي النسوي يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، والمغزى البعيد للحدث السياسي ونتائجه الممكنة... وفهم ما ساهمت به الحساسية النسائية من إغناء البعد الاجتماعي والسياسي والموضوعي للعمل الأدبي، يجعل ولا شك من هذه الصفة "النسائي" صفة قيمة يحق للكاتبات أن يفخرن بها بدلا من أن يخشينها ويتجنبنها"[33]

وتتابع حديثها قائلة: "علينا أن نبدأ بتحديد سمات الأدب النسائي العربي من خلال دراسة هذا الأدب دراسة جادة ومعمقة وهادفة وليس من خلال ترديد مقولات مستهلكة وعميقة، حينئذ قد تشعر جلُّ كاتباتنا بالفخر لإلحاق صفة نسائي بكتاباتهن، وقد نضيف الجديد والغني إلى الأدب العربي من خلال رفده بأدب نسائي طال إهماله وتجاهله وتشويه منهجه ومغزاه "[34]

إنَّ هذا التناقض الواضح في رأي الناقدة المؤيدة والرافضة للمصطلح نفسه، حالها كحال مجموعـــة كبيرة من النقاد، يكشف عن قصـــــور الخطاب النقدي العربي في التنظير لهذه القضية/ قضية الأدب النسوي.

وهذا الأمر الذي لا يعني نفيا لوجودها، و إنما هو تأكيد على وجود واقع لم يصل النقد العربي بعد إلى إدراكه بالرغم من أنَّه تقبل أفكارًا عديدة، كان لا يمكنه تقبلها سابقا كالقصيدة الحرة.

ورغم التفتح الذي تشهده المجتمعات العربية، وحملات التثقيف والتنوير وغيرها من الأفكار التي تحاول بها أن تتجاوز العرف والعادات والتقاليد، ليتعايش الجميع ضمن أنساق ثقافيةٍ واجتماعيةٍ ترضي كل الفئات العمرية وتساوي بين كل الصنوف والأجناس البشرية.

بهذا فإن المحاولات السابقة المؤيدة والمخالفة للتسمية، لا تعدو أن تكون خوضا في مسألة يغلب عليها كثير من الافتعال، فالأدب سواء أكتبه الرجل أم المرأة فالمهم فيه مدى تبنيه لقضايا الإنسان من حيث هو إنسان.

4- بدايات الرواية النسوية في المشرق العربي وأبرز رائداتها:

ظل السرد العربي نمطياً، محافظاً على الأنساق والمواضيع السوسيو ثقافية المليئة بالهيمنة الذكورية المتحيزة لثنائية (الإله / الرجل) والمقصيـــة للمرأة، عصياً على المساءلة والكشف، رافضــاً لكل محــاولات تغييره أو تجاوز رتابته، وفق منظومة ثقافية سردية عربية قتلت الإبداع النسوي ورفضته في بدايـــاته، حتى مضى حين من الدهر وأضحت الروايـــة الجنس الأدبي الأكثر انتشارا وإقبالا؛ ولأن المرأة تعشق الســرد، وسرد أحزانها وآلامها بالتحديد فقد تألقت وتأنقت كثيرا وهي ترتفع كل يوم عن الآخر وتصعد أعلى درجات سلم الإبداع السردي لغة وتعبيرا، عواطف وأحاسيس، طرحا وفكرا... حيث تفاعلت مع الواقع الوجودي الكلي عامةً ومع واقعها بالأخص، وراحت تجذب الأفكار وتستوحي الإلهام من مختلف الثقافات والحضارات التي عظَّمتها أو همَّشتها، وأخيرا تخلت عن حياءها اللغوي وخجلها الأنثوي، وانطلقت في عالمها السردي الإبداعي.

رغم ذلك بقي الصوت النسوي السردي في السردية العربية خاضعا لإكراهات التغييب والإقصاء ولآلياتها النسقية الجمعية المضمرة في ثقافتنا، حتى انتصف القرن العشرين حين ظهرت أسماء مختلفة في كل أقطار الوطن العربي خصوصا في مشرقه. وكان لمنطقة الشام الفضل الكبير في ذلك خاصة في سورية ولبنان، حيث يرى الناقد والكاتب الإنجليزي ألن روجر Allen Roger " أنَّ نشأة الرواية العربية ارتبطت بشكل عام بعصر الاحتكاك مع الغرب سواء ولد هذا الاحتكاك نارا أم مطبعة، وأن حركة الترجمة وانتشار الصحافة في القرن التاسع عشر خاصة في سورية الكبرى فتح بابا أمام العرب للاطلاع على إنتاج الغرب الثقافي في مختلف جوانبه وبمختلف ألوانه، ومن ذلك بطبيعة الحال الرواية التي كانت في مرحلة متقدمة ومتطورة عند الغرب حينها"[35]

وكما هو معروف ومتداول فإن رواية (زينب) للكاتب المصري محمد حسين هيكل، تعتبر أول رواية عربية تشتمل على كل مقومات الرواية كجنس أدبي فني؛ وبغض النظر عن الكلام الإنشائي الذي بدأت به الباحثة والناقدة السورية الدكتورة بثينة شعبان فصلها الأول في كتابها (مائة عام من الرواية النسائية العربية) ، إلا أنها قدمت أدلة قوية بأنَّ "أول رواية عربية مكتملة

لشروط السرد لم تكن رواية زينب لهيكل، بل كانت رواية اللبنانية (زينب فواز) المعنونة بـ: "حسن العواقب"، والتي نشرت في عام 1899م "[36]

كذلك تشير نفس الباحثة إلى ريادة المرأة العربية في هذا المجال فقد "نشرت اللبنانية (لبيبة هاشم) روايتها الأولى "قلب الرجل" عام 1904م، ونشرت مواطنتها (فريدة عطايا) روايتها التاريخية "بين عرشين" عام 1912م، ونشرت الكاتبة اللبنانية المهاجرة (عفيفة كرم) أكثر من رواية لها قبل عام 1914م "[37]

وإذا دققنا في تلك الحقبة الزمنية وعدنا للبحث فيها عن الإبداع النسوي، نلحظ أنه ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر شهد الوطن العربي ميلاد حركات نسوية تنادي بتعليم النساء، ففي 1881م أسست السيدتان "إملي سرسق" و"لبيبة جهشان" أول معهد لتعليم الفتيات بلبنان، وقبلها بسنة واحدة أنشئت مجموعة من سيدات بيروت المتعلمات والمثقفات جمعية "زهرة الإحسان" في 1880م، وفي عام 1914م أُسِسَت جمعية "يقظة الفتاة العربية" بالإضافة إلى الانتشار الواسع في مجال الصحافة، فقد أصدرت "هند نوفل" مجلة "الفتاة" في 1982م في الإسكندرية، وأصدرت "مديحة الصابوني" مجلة "المرأة" في 1893م في حلب، وأصدرت "لبيبة الهاشم" مجلة "فتاة الشرق" عام 1906م، و"عفيفة كرم" مجلة "المرأة السورية" عام 1911م.

وبالإضافة إلى الجمعيات والمجلات ظهرت الصالونات الأدبية النسائية مثل: صالون مريانا مراش في حلب، وصالون الأميرة نازلي فاضل، وصالون مي زيادة في القاهرة.

مثل هذه النشاطات ســاعدت على خلق خطاب نسوي وبالتــالي صدور واسع للرواية النسوية وأيضا الشعر النســـوي، لكن كتابات المرأة تخطت النمطية والمعتاد وتحررت من كل القيود المفــروضة مسبقا. وراحت تبدع من أجل خلق لغة خاصة بها ومن أجل بناء وتأسيس رواية نسوية تختلف نوعا ما عن الرواية الرجالية/ الذكورية.

فتجرأت وكتبت عن الممنوع أو المسكوت عنه وهو ما عمدت إليه "وداد السكاكيني" في روايتها "أروى بنت الخطوب" والتي صدرت عام 1949م، والتي حظيت بنصيب وافر من النقد والشهرة

وهي "رواية تظهر أزمة جسد المرأة في مجتمع محموم بالجنس ومحترف في استخدام العيب والحرام لإخضاع المرأة "[38]

وفي السياق ذاته ظهرت بعدها روايات مماثلة لها وهو ما نجده لدى العراقية "صبرية محمد" واللبنانية "هند سلامة" والفلسطينية "فتحية محمود الباتع"، بحيث نلمس من خلال أعمالهن محاولتهن "تغيير المواقف حيال النساء وفي نهاية هذه الروايات يدرك الرجال أنهم ضحية سوء فهمهم للنساء"[39]

ويمكن أن نذكر بعضا من أسماء الروائيات التي مثلن المرحلة الأولى من انطلاقة وميلاد الرواية النسوية، حيث تعتبر منطقة الشام ـ كما سبق الذكر ـ منبت هذه الأسماء بالإضافة إلى بعض الأسماء في مصر والعراق، وهن: زينب فواز، عفيفة كرم، لبيبة هاشم، فريدة عطايا، وداد السكاكيني، لطيفة الزيات، لبيبة ميخائيل صوايا، زينب محمد، عائشة التيمورية، صبرية محمد، هند سلامة، فتحية محمود الباتع وغيرهن...

وهو ما جعل الباحثة الناقدة بثينة شعبان تُقر في مقدمة كتابها السابق الذكر، أن هناك ثلاث عشرة رواية صدرت قبل صدور رواية زينب لهيكل، وأنها عندما "سألت الناقد اللبناني محمد دكروب لماذا لم تذكر الدراسات التي قدّمها هو، وعبد الرحمن المنيف والغيطاني، روائية واحدة؟.

أجاب دكروب: إنَّ السبب الوحيد الذي يمكن لي أن أفكِّر به، هو أنَّ الكُتّاب -بمن فيهم أنا طبعاً- يعتقدون بشكل لا شعوري أنَّ الأدب الذي كتبته النساء غير هام.. "[40]

ومع نهاية الخمسينات، بدأت الرواية النسوية العربية باتخاذ منحى جرئ وصادم يتجه نحو طرح إشكاليات جديدة على الساحة الأدبية بصفة عامة والسردية الروائية على وجه الخصوص، حيث علا الصـــوت النسوي السردي مع روائيات مثل: ليلى بعلبــكي وكوليت خــوري في روايتيهما (أنا أحيا) و (أيام معه) على التوالي، وما يلاحظ على هذين العملين الأدبيين هو الثورة الرهيبة والنار الملتهبة الموجودة بداخل المرأة العربية والمنادية وبشدة لفرض وجودها وبسط أفكارها داخل مجتمع لا يريد لها الوجود الفعلي، بقدر ما يريد منها التعايش كما يحلو له هو ووفق شروطٍ وضعها الرجل وسلطةٍ أسسها هو في بادئ الأمر لتصير قوانين سُنَت لردعها وإذلالها واحتقارها.

وترى رفقة دودين أنَّ "هذين الروايتين كانتا متأثرتين بشيوع الفكر الوجودي حينها، وأنهما عبرا عن الضمير الجمعي للنساء العربيات اللواتي بدأن بالتمرد وبرفض قبول شيء لا يمليه تفكيرهن عليهن"[41] ، لتصبح الحقبة الستينية من القرن الماضي بعد ذلك، نقطة انطلاقة لسرد نسوي تميز بالجرأة والطرح والتجريب في الأسلوب والمضمون معا، خاصة مع الأحداث التي

شهدتها المنطقة العربية آنذاك والتي تمثلت في النكسة العربية عام 1967م، حيث صدرت مجموعة من الروايات مثل: الباب المفتوح للطيفة الزيات، ثلوج تحت الشمس لليلى الوافي، فتاة تافهة لمنى جبور، كفاح امرأة لكاترين داغر، نهاية وعبرة لحياة البيطار، طيور الليل لإملي نصر الله، ليلة واحدة لكوليت خوري، مراهقة لماجدة العطار، الدوامة لقمر الكيلاني، دمشق يا بسمة الحزن لألفة الأدلبي، ليلة المليار لغادة السمان، عصافير الليل لليلى عسيران، سأمر على الأحزان لبلقيس الحوماني، وداع مع الأصيل لفتحية محمود الباتع، تشرق غربا لليلى الأطرش، المجلد الثاني لفدوى طوقان... وغيرها من الأعمال الروائية النسوية في السرد العربي الحديث.

ولعل الشيء المشترك بين هذه الروايات هو "صحوة الوعي لدى النساء فهن يحللن وينتقدن الواقع الاجتماعي والسياسي، ويستحضرن رؤيا جديدة تضع الأسس من أجل إعتاق كل من الرجال والنساء، ومن أجل البقاء السياسي وازدهار مستقبل الأمة العربية بكاملها "[42]

لتبدأ مرحلة ثالثة متقاربة زمنيا مع المرحلة الثانية لكنها اختلفت عنها في صيغة كتابة الرواية ومثلتها كل من: حنان الشيخ ، حميدة نعنع، ناديا خوست، رضوى عاشور ، هاديا سعيد، زهرة عمر، نوال السعدواي وغيرهن..

وبنظرة إلى أعمال الرائدات اللاتي تحدثنا عنهن سابقا، " يبدو أن هذه الأعمال كان لها الفضل في فتح آفاق للسرد النسوي العربي وصوت التمرد على السائد سواء في الأدب أو في المجتمع"[43]، كما أنَّها أظهرت شرائح النساء بكل أطيافها وطبقاتها وحكت عن آلامهن وآمالهن، أحزانهن وأفراحهن، قصصهن ومغامراتهن المخبئة في أعماقهن والتي لا يستطعن البوح بها أبدا.

وراحت كل مبدعة سواء ذكرناها أو لم نذكرها تبدع في سرد تفاصيل حياتها والتي وإن اختلفت قليلا عن حياة مثيلاتها من بنات جيلها، إلا أنها لا تخالفها في أحلامها وطموحاتها وسعيها للتخلص من الرقابات والسلطات المفروضة عنها من قبل الرجل، المجتمع، العادات، التقاليد والدين، وكثير ممن فرض قيوده على هذا المخلوق الغريب / المرأة الذي ظل الجميع يرفضه ويحارب تعليمه وتثقيفه، حتى لا يتسنى له فرصة فرض نفسه أمام سلطة الرجل الأحادية وهو ما حدث فعلاً، فقد أثبتت المرأة ذاتها وصار عنصرا فعالا في بناء المجتمع، وركيزة يعتمد عليها في كل الأمور الحياتية سواء التي تخصها أو غير ذلك.

5 – لمحة عن البدايات وأهم الرائدات في المغرب العربي:

ساد في عرف الثقافة العالمية والعربية أنَّ المرأة معنى والرجل لفظ، لأن اللغة من صنع الرجل والمرأة موضـوع لغوي وليست ذاتا لغوية، وهـو ما روجت له مختلف الثقافات العالمية وليست العربية فقط.

كما جاء تأنيث الخطاب العربي بإخراجه من النسق الفحولي الذكوري المهيمن إلى النسق الأنثوي والذي عُدَّ بمثابة كسر، أو لنقل أنه جاء مزحزحًا نوعا ما لذكورية الخطاب القديمة ومؤسسًا لنسق أنثوي مع أسماء عديدة وعبر كل أقطاب الوطن العربي.

ويعود ظهور " أول رواية نسوية مغاربية إلى سنة 1954م للمغربية "آمنة اللوة" بنصها الروائي "الملكة خناثة"، ثم يليه نص "النار والاختيار" لمواطنتها "خناثة بنونة في 1967م، فنص "غدا تتبدل الأرض" لفاطمة الراوي والذي صدر عام 1968م في المغرب الأقصى"[44].

وهذا ما يمنح كاتبات الرواية النسوية المغربيات السبق في ارتياد مغامرة كتابة الرواية، ذلك أن النصوص المذكورة ظهرت في وقت مبكر مقارنة بالنصوص التي ظهرت في الدول المجاورة للمغرب.

ومن الروائيات المغربيات نذكر: آمنة اللوة، خناثة بنونة، فاطمة الراوي، ليلى الحلو، ليلى أبو زيد، زهور كرام، أسمهان الزعيم وغيرهن..

أما المشهد الثقافي في الجزائر فقد كان راجع لما هو سائد في العرف الثقافي العالمي والعربي، حيث ساد الجو الفحولي واللغة الذكورية السرد الجزائري إلى غاية نهاية ستينات وبداية سبعينات القرن الماضي، حيث كتبت "زهور ونيسي" روايتها الأولى "الرصيف النائم" والتي صدرت في 1966م، لتليها بعد عقد من الزمن برواية ثانية عام 1979م بعنوان: "من يوميات مدرسة حرة" والتي كانت بمثابة فتح ثقافي في الساحة الروائية الجزائرية، إذ بدأت تلوح في الأفق أقلام نسائية مثل: أحلام مستغانمي، ربيعة جلطي، فضيلة الفاروق، زهرة الديك، ياسمينة صالح، هاجر قويدر، حسيبة موساوي، فاطمة العقون، منى بشلم، ديهية لويز، وغيرهن...

وفي ليبيا فإن أول رواية نسوية كانت للكاتبة "مرضية النعاس" بعنوان:"شيء من الخوف" والتي صدرت عام 1972م، لتليها الإصدارات لكن بأزمنة متفاوتة ومتباعدة نوعا ما.

فصدرت في 1983م رواية "المرأة التي استنطقت الطبيعة" لنادية العويتي، ورواية "رجل لرواية واحدة" لفوزية شلابي" في 1985م، "زرايب العبيد" لنجوى بن شتوان سنة 2015م، والتي رُشحت لنيل جائزة البوكر لسنة 2016م، وغيرها.

ولم تظهر الرواية النسوية في تونس حتى 1983م عندما صدر نص "آمنة" لزكية عبد القادر، لتليها عروسية الناتولي بروايتها "مراتيج" عام 1985م، وبعدهما ظهـرت أسماء عديدة مثل: عليـاء التابعي، حياة بن الشيخ، آمال مختار، فضيلة الشابي، فاطمة الشريف، حبيبة المحرزي، وسيلة الزراعي... وغيرهن.

وفي موريتانيا كتبت "عائشة زين العابدين" عن مجتمعها في فترة معينة من تاريخه، فصدرت لها عام 1978م روايتها الأولى "الفتاة المعذبة"، إلا أن أسلوبها النقدي كان خجولا فاكتفت بطرح قضية حرمان المرأة من التعليم، لتليها الروائية "سميرة حمادي" بروايتها "حشائش الأفيون" والتي استطاعت من خلالها أن تصور لوحة فنية في غاية الجمال عن المجتمع الموريتاني في مطلع الستينات من القرن الماضي، إبان تشكيل ملامح الدولة الوطنية، فقدمت "المرأة ذلك الإنسان التائه المنفي داخل منازل مفتوحة وخيام مشرعة ضمن وجوه تعرفها وأخرى لا تعرفها.[45]

ويعود تأخر الأدب المغاربي عموما والجزائري على الوجه الخاص، عن مثيله في المشرق العربي للظروف التي سادت البلد في ذلك الوقت، ولما خلفه الاستعمار من دمار فكري وثقافي أكثر من أي شيء آخر، فقد "اقترن ظهور الرواية النسوية العربية في منطقة المغرب العربي بمرحلة حصول دوله على الاستقلال"[46]. بالإضافة إلى التقاليد الاجتماعية، التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا "نظرة تنطوي على كثير من الاحتقار، وترى أن تواجدها في الحركة الاجتماعية والثقافية والأدبية يثير الفتنة ويشجع الانحلال، مما كبلها وفرض عليها ظروف العزلة وتجميد طاقاتها الإبداعية بل ومحاربتها إن حاولت ذلك "[47]

إنَّ مهــمة المرأة في منطقة المغرب العربي عمومـا لفرض إبداعها وتوصيل صوتها الأدبي، ـ مهما كان نوعه شعرا أم نثرا ـ صعبةٌ جدًا، ذلك أنها لم تستطع التخلص من كل عقدها التي تراكمت داخلها عبر عقود عديدة من الزمن.

6 – ميلاد الرواية النسوية في الخليج العربي:

ليس غريبا أن يكون للمبدع الرجل في منطقة الخليج العربي فضل السبق والريادة في مجال الإبداع السردي، ليكون حال هذه المنطقة كحال باقي أرجاء الوطن العربي ؛ وبالرغم من ذلك فإن إسهامات المرأة الخليجية في الإبداعات القصصية والروائية وحتى الشعرية كانت مبكرة أيضا، مقارنة بما كتبه المبدع الرجل في الخليج العربي.

فظهرت أول رواية للكاتبة السعودية سميرة خاشقجي، والتي تعتبر رائدة الروائيات الخليجيات اللواتي آمنَّ بأنَّ الخطاب الإبداعي السردي قادر على التبشير بالرسالة النسوية،

والتحريض على الواقع الاجتماعي القامع للمرأة، وقد أصدرت هذه الرائدة ما بين 1958م و 1973م ست روايات أولها "ودعت آمالي" عام 1958م، وآخرها "مأتم الورد" عام 1973م.

لتتوالى بعدها النصوص الإبداعية في معظم بلدان الخليج العربي، فنشرت فاطمة العلي من الكويت روايتها الأولى "وجوه في الزحام" عام 1971م، ونشرت مواطنتها نورية السداني روايتها "الحرمان" و"واحة العبور" في نفس السنة عام 1972م، وتلتهما مجموعة معتبرة من الأعمال الإبداعية المنشورة وظهرت أسماء برزت في الساحة الروائية مثل: ليلى العثمان، فوزية شويش السالم، بثينة العيسى وعالية شعيب.

وفي قطر تأخر ظهور الرواية النسوية العربية حتى عام 1993م، حيث نشـــرت دلال خليفة روايتها الأولى "أسطورة الإنسان والبحيرة"، ونشرت شعاع خليفة روايتها "أحـلام البحر القديمة" في نفس السنة.

وفي البحرين نشرت فوزية رشيد روايتها الأولى "الحصار" عام 1983م.

وكان للروائيات السعوديات النصيب الأوفر في النشر، فظهرت أسماء عديدة مثل: سميرة خاشقجي، رجاء عالم، عائشة زاهر أحمد، رجاء الصانع، ليلى الجهني، سمر المقرن، أثير عبد الله النشمي، نورة محمد المحيميد، أميمة خميس، زينب حفني، صبا الحرز، نورة الغامدي، هند باغفار، قماشة العليان، أمل شطا، هدى الرشيد، صفية عبد الحميد، سلوى دمنهوري بدرية البشر، وغيرهن...

وإذا كان لدولة السعودية سبق الريادة وحصة الأسد في النشر، فإن لدولة الإمارات نصيبٌ أيضا من المبدعات وكان الفضل في ظهور أول رواية نسوية لباسمة يونس عام 1990م، لتظهر بعدها مجموعة من الأسماء مثل: حصة جمعة الكعبي، أمنيات سالم، ميسون القاسمي، فاطمة السويدي، أسماء الزرعوني.

وفي سلطنة عمان نشرت بدرية الشحي روايتها الأولى "الطواف حيث الجمر" عام 1999م، وتلتها جوخة الحارثي بروايتها "منامات" عام 2004م.

وإذا تخطينا هذا السرد التاريخي، وتحدثنا قليلا عن نمط الكتابة الروائية النسوية في منطقة الخليج العربي فإننا باختصار سنذكر القفزة التي شهدها نمط الكتابة، فمن الشكل المحافظ التقليدي والكلاسيكي النمطي إلى كتابة الجرأة والبحث عن الحرية والتمرد عن السائد والمعتاد حيث تغلبت الروائيات الخليجيات على النمطية واللغة بالجرأة وطرق المسكوت عنه وتحدي الوضع المتزمت الذي يشمل (الرجل / الدين/ المجتمع).

7 – **خاتمة:** طمحت هذه الدراسة إلى الكشف عن ماهية مصطلح الأدب النسوي، وعن أهم بداياته وأبرز رائدات الرواية النسوية العربية وتتبع مسارها التطوري، وإبراز أهم التيمات التي تبلورت من خلالها هذه الأخيرة، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– نشأت الحركة النسوية في أعقاب بحثِ المرأة عن مكانتها في المجتمع، ومحاولتِها فرض ذاتها وحصولها على استقلالية وحرية تمكنهـا من ممارسةٍ حياتيةٍ لا تختلفُ كثيرا عن حياة الرجل.

– بالرغم مما عانته الكتابة النسوية من صعوبات فنية وبنائية جمالية، إلا أننا لاحظنا تطورا كبيرا في طريقة كتاباتها، فمن السطحية إلى التعمق ومن الأسلوب المباشر والتقريري إلى لغة شاعرية لم نعهدها في السرد العربي قبل ذلك.

– إنَّ الرواية النسوية العربية لم تحجز موقعا لها إلا بعد مرورها بمراحل طويلة، اجتازت من خلالها كل العقبات التي وقفت في طريق تطورها والاعتراف بها كجنس أدبي.

– إنَّ البحث عن القضايا النسوية في كتابات المرأة، هو استجابة للنداء الأنثوي في إطار الصراع الطبقي الذي تعيشُ المرأة وفقه، ولذلك جاءت نصوصها مشحونة بقضايا المرأة ومحملة بها، وحاملة لها، ذلك أنَّ أنوثتها هي خاصية ملازمة لها ليس بمقدورها الانفكاك عنها أو التخلي عن ملامحها.

هوامش المقال:

[1] رفيف صيداوي: الكتابة وخطاب الذات / حوارات مع روائيات عربيات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص: 57.

[2] بثينة شعبان: مائة عام من الرواية النسائية العربية، ، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1999م ، ص: 13.

[3] غادة السمان: الأعماق المحتلة، منشورات غادة السمان، بيروت، 1993م، ص: 22

[4] حسين نجمي: شعرية الفضاء السردي / المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، د ط، د ت، ص: 173

[5] أشرف توفيق: اعترافات النساء، دار الأمين، دمشق، سوريا، 1998م، ص: 15

[6] رفقة محمد دودين: خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة، منشورات أمانة عمان، عمان، الأردن، ط 1، 2007م، ص: 32.

[7] المرجع السابق، ص: 33

[8] رفيف صيداوي: الكتابة وخطاب الذات، ص: 63

[9] محمد القذافي مسعود: حواري معهن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2008م، ص: 41.

[10] سمية درويش: الطاقة المبدعة هوية، مجلة الكاتبة، العدد الثاني، كانون الثاني / يناير، السنة الأولى 1994م، ص: 34.

[11] سارة جمبل: النسوية وما بعد النسوية، ترجمة: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص: 94

[12] محمد القذافي مسعود: المرجع السابق، ص: 130

[13] لطيفة القبائلي: نقلا عن مجلة تايكي الثقافية (مجلة تعنى بقضايا المرأة) ، نقلا عن زهور كرام: السرد النسائي العربي، مقاربة في مفهوم الخطاب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، المغرب، ط1، 2004م، ص: 94.

[14] القدس العربي، السنة الرابعة، العدد 1076، نقلا عن زهور كرام، المرجع السابق، ص: 94.

[15] بول شاوول: علامات من الثقافة المغربية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، أغسطس 1979م، ص: 53

[16] بول شاوول: المرجع السابق، ص: 53.

[17] محمد برادة وآخرون: ندورة رواية المرأة، مجلة فصول، مجلد 16، عدد 04/ ربيع 1998م، ص: 353

[18] محمود طرشونة : الرواية النسائية التونسية، مركز النشر الجامعي، تونس، ط 1، 2003م، ص: 121

[19] بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2006م، ص: 217

[20] حسام الخطيب: حول الرواية النسائية في سوريا، ص: 08

[21] حسام الخطيب: المرجع السابق، ص: 94

[22] عبد العاطي كيوان: أدب الجسد بين الفن والإسفاف، دراسة في السرد النسائي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، د ط، د ت، ص: 13

[23] عبد العاطي كيوان: أدب الجسد بين الفن والاسفاف، ص: 57/ 58

[24] المرجع نفسه، ص: 17

[25] حسين البحراوي: هل هناك لغة نسائية في القصة ؟ مجلة آفاق، عدد 12، المغرب، 1983م، ص: 135

[26] حسين المناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، 2002م، ص: 258

[27] جورج طرابيشي: الأدب من الداخل، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1978م، ص: 11.

[28] بوشوشة بن جمعة : الرواية النسائية المغاربية، ص: 122

[29] كارمن البستاني: الرواية النسوية الفرنسية، تر: محمد علي المقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 34/ 1985م، ص: 122

[30] نزيه أبو نضال: حدائق الأنثى، ص: 44، نقلا عن سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية / الوجود والحدود، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010م، ص: 281

[31]عصام خلف كامل: إبداع المرأة العربية، رؤية سوسيولوجية، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 22

[32] حمد خميس: في مفهوم الأدب النسائي، جريدة الجزيرة، العدد 93 88، الصادر بـ : 1997/020/02م، ص: 265/264

[33] بثينة شعبان: مائة عام من الرواية النسائية العربية، ص: 232/ 233

[34] المرجع نفسه، ص: 233

[35] Allen Roger, the arabic novel : An Historical and Critical Introduction, NY: Syracuse University press, 1994, page:81.

[36]بثينة شعبان: مائة عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص: 47.

[37]بثينة شعبان: مائة عام من الرواية النسائية العربية، ص: 47

[38] المرجع نفسه، ص: 73

[39] بثينة شعبان، مائة عام من الرواية النسائية العربية، ص: 78 / 79

[40] المرجع السابق، انظر مقدمة الكتاب.

[41] رفقة محمد دودين: خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة، منشورات أمانة عمان، الأردن، ط1، 2007مـ ، ص: 84

[42] بثينة شعبان: المرجع السابق، ص: 86

[43]رفقة محمد دودين: خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة، ص: 119/118

[44] بن جمعة بوشوشة: الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والإشهار والنشر، ط1، 2003م، ص: 35

[45] سميرة حمادي: حشائش الأفيون، دار الرائد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، ص: 13

[46]بن جمعة بوشوشة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، ينظر : بوجمعة بوشوشة: الرواية النسائبة المغاربية، ص: 166

[47] يمينة عجناك: قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر، زهور ونيسي نموذجا، مجلة التبيين، الجاحظية، عدد 36، 2011م، ص: 94.